



المعنى ومعنى المعنى في ديوان "بعض الشك
..قصيدة" لرشيد بلمومن

The Meaning and the Meaning of Meaning in the
Collection 'Some Doubt...' a Poem by Rachid
Belmoumen

صوفيان لشهب¹

¹ جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، sofiane.lacheheb@ummt0.dz

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى الغوص في نصوص ديوان "بعض الشك قصيدة" للشاعر الحدائي رشيد بلمومن، وفهم الآليات الحدائية لإنتاج المعنى في الشعر الحدائي، وكذا كيفية انتقال القصيدة من المعنى المباشر إلى مستويات الرمز والإيحاء، والبحث في كيفية بناء الشاعر لظاهر اللغة وباطنها، وتحليل آليات الإيحاء لتوليد طبقات متعددة من المعنى. تخلص هذه الدراسة إلى أنّ الشعر الشعبي الحدائي أو التجربة الزجلية، تعتمد على بنية دلالية تجعل من المعنى مفتوحا على التأويل، وأن معنى المعنى يتشكل عبر تفاعل القارئ مع الصور والانزياحات لا من اللغة وحدها. وتظهر النتائج المتوصل إليها رؤية الشاعر الوجودية التي تعكس قلق الإنسان المعاصر، وأن حقيقة النص لا تدرك إلا من خلال الغوص في طبقاته العميقة.

كلمات مفتاحية: الشعر الشعبي، الحدائية، المعنى، التلقي، التأويل

Summary:

This research paper seeks to delve into the texts of the poetry collection "Some Doubt..." a poem by the modernist poet Rachid Belmoumen, and to understand the modernist mechanisms through which meaning is produced in modern poetry. It also examines how the poem moves from direct meaning to the levels of symbol and suggestion; it explores how the

poet constructs both the surface of language and its inner depths; and it analyzes the mechanisms of suggestion in order to generate multiple layers of meaning. This study concludes that modern popular poetry—or the zajal/vernacular poetic experience—relies on a semantic structure that keeps meaning open to interpretation. Meaning is formed through the interaction between the reader and images and shifts, rather than through language alone. The findings also reveal the poet's existential perspective, which reflects the anxiety of contemporary human beings, and that the true nature of the text can only be grasped by immersing oneself in its deeper layers.

Keywords: Popular poetry; modernism; meaning; reception; interpretation

1. مقدمة :

حظي الشعر الشعبي باهتمام كبير من قبل المختصين في دراسة الثقافة الشعبية، ولاسيما الدراسات الأكاديمية التي سعى أصحابها إلى التحقيق في مختلف المرجعيات والأسس الثقافية للشعر والشعراء الشعبيين، والبحث في مسببات انتقاله من جيل لآخر دون ضياعه، ولأنّ الشعر الشعبي جزء من الأدب والتراث الشعبيين فهو جزء محوري من هوية المجتمع، وهذا ما جعل الشعراء يتماشون مع مقتضيات العصر ومن ذلك؛ التأثير بالحدثة الثقافية والواقع الثقافي الراهن، ما سمح للشاعر بالتخلص من آثار المرجعية التقليدية.

يتميز الشعر الشعبي بالتنوع والغنى نظرا لتعدد البيئات الثقافية التي ينتمي لها، ما جعله من أهم أنواع الأدب الشعبي التي تمثل الأصالة والوطنية، وهذا الأمر هو الذي سمح للمهتمين بدراسة التراث الشعبي بالغوص في مختلف التجارب الأدبية والثقافية، سعيا منهم إلى الحفاظ على تلك الآثار الشفوية التي كانت ولا تزال مصورة للإنسان وللحياة البشرية، وقد اهتم الدارسون في الجامعات والمعاهد بمختلف أنواع وفروع الثقافة الشعبية بالبحث والجمع والتدوين، ومن بين الأسماء البارزة في الشعر الشعبي الجزائري (لخضر بن خلوف، عبد الله بن كريبو أحمد بن قيطون) ومن المؤسسين للتجربة الشعرية في الجزائر (توفيق ومان، مسعود طيبي، رشيد بلمومن، ..) والذين سعوا إلى إضفاء طابع حدائي على النصوص الشعرية فيما يخص الشكل أو المضمون وهو ما جعل الدارسين أمام نصوص تتطلب مناهج غريبة حدائية تواكب هذا التطور.

يختص الشعر الشعبي الحدائي أو ما يعرف بالتجارب الزجلية بخصائص الشعر العربي الحديث والمعاصر، فقد تمكن الشاعر الزجال من اضممار رسائل مشفرة ضمن

نصوصه الشعرية من خلال الاعتماد على آليات حدائية في الكتابة كالتكثيف الدلالي، الكتابة بين الفراغات، استخدام البياضات كوسيلة لجر القارئ إلى قراءات المعنى العميق، ومن بين الشعراء الجزائريين الذين سارعوا إلى التجريب في الشعر الشعبي؛ رشيد بلومون الذي استطاع أن يعطي صبغة جديدة للشعر الشعبي، ويضمّر رسائله الثقافية ضمن نصوص حدائية أطلق عليها مسمى " زجل " وهذا ما يظهر في ديوان " بعض الشك قصيدة " الصادر عن دار الجزائر تقرأ . وسنحاول من خلال هذه الورقة العلمية أن نجيب على مجموعة من الأسئلة الإشكالية المتعلقة بمتن النصوص الشعرية وكذا المعاني المتضمنة داخلها ومن ذلك الأنساق المضمرة الغالبة على النصوص، وتفكيك المعاني المتخفية وراء ذلك.

الإشكالية:

- ما هو مفهوم الشعر الشعبي الحدائي (التجارب الزجلية)؟
 - هل استطاع الشاعر الشعبي أن يضمّن آرائه الفكرية والثقافية داخل النصوص الشعرية الحدائية؟
 - هل يمكن اعتبار المعاني السطحية باب من أبواب التأويل الشامل للنص الشعري؟
- من خلال هذه الإشكالية التي ترتبط بالشعر الشعبي وسؤال الراهن، يمكننا أن نعالج قضية المعنى ومعنى المعنى في الشعر الشعبي الحدائي، أو مختلف التجارب الزجلية في الساحة النقدية باعتبار النص الشعري أمام مرحلة فاصلة لنقل الشعر الشعبي من قالب كلاسيكي إلى قالب حدائي، ما لنا يفتح صراعا نقديا بين الشعراء والقراء.

2. الشعر الشعبي وتحولات المبنى والمعنى:

إنّ التحولات العميقة التي عرفها الشعر الشعبي ضمن الألفية الثالثة، أجبرت الشاعر الشعبي على الانطلاق صوب الكلمة الواحدة والمتعددة المعاني والتي يستطيع من خلالها بعث نفس جديد للشعر، وهذا ما يتجلى في التجربة الشعرية للرجال رشيد بلومون.

عرف شعر بلومون تطورا في المبنى والمعنى الداخلي للنصوص بالانتقال من القالب الكلاسيكي إلى القالب الحدائي، فقد عرفت تجربته الأولى " سيلفي " مزجا بين النصوص

الكلاسيكية – نظام الأبيات الشعرية ووحدة الوزن والقافية- والنصوص الحداثية التي تجاوز فيها النظام المتعارف عليه، وهو ما جعله ينتقل إلى تجربة زجلية خالصة في ديوان بعض الشك.. قصيدة، والذي تعرض فيه للعديد من الموضوعات الاجتماعية والثقافية وفق بناء شعري قائم على التكثيف الدلالي والقراءة المفتوحة، فبعد أن كان المعبر عن مجتمعه وعشيرته أصبح معبرا عن ذاته ودواخله، وقد ساعده في ذلك اعتماده على تقنيات التشكيل البصري التي تضم العتبات النصية، هندسة البياضات، إدخال بلاغة الصمت والتفاوت الموجي والعديد من الخصائص الأخرى التي تهيمن على معظم الدواوين الشعرية الجديدة.

1.2 هاجس البحث عن الذات في شعر رشيد بلومون:

إنّ الغوص في التجربة الشعرية للزجال رشيد بلومون تقودنا إلى تفكيك العديد من النصوص المستحدثة في مجال الشعر الشعبي الجزائري، فبعد قراءتنا لأي نص شعري؛ تطرح العديد من التساؤلات التي ترتبط بطبيعة العلاقة بين الشاعر ونصه، ومن ذلك القدرة التي يمتلكها الشاعر في السيطرة على نصه، وإلى أي حد يمكنه توجيه رؤيته الشعرية، فالشاعر من خلال تجربته الزجلية يسعى إلى إيصال رسالته وفق مفهوم معين للنص وهذا ما أطلق عليه فولفغانغ آيزر Wolfgang Iser بالقارئ المضمر ويقصد به «ذلك القارئ الذي يصنعه النص لنفسه وهذا ما يعادل شبكة من أبنية الاستجابة تغرينا على القراءة بطريقة معينة»⁽¹⁾ وهنا تظهر قدرة رشيد بلومون في إضفاء تصوير معين للنص وفقاً لما يسعى أن يصل إلى قارئه من معنى.

كما أنّ اللغة التي يمتلكها بلومون تتجاوز اللغة العادية وهذا ناتج عن طبيعة الوظيفة التي يؤديها فهو لا يقتصر على وظيفة التوصيل، بل يسعى إلى توليد شعور مختلف لدى المتلقي وهذا ما جعله يستعين بالعديد من العناصر المشكلة للغة والتي تستمد منها شعريتها فتغدو مشبعة بالإشارات المجازية فهذه هي اللغة التي «تومي وتلوح وتستند إلى ما يسميه الأسلوبيون الانحرافات الموضوعية والمعجمية والدلالية والنحوية والتركيبية والاستبدالية، لا ينشأ عنها عند القراءة تفسير أحادي؛ لأنها تفضي بالضرورة إلى إمكانات واسعة.»⁽²⁾

كما أنّ الرموز هي من التقنيات التي يختارها الشاعر للتعبير عن أفكاره بطريقة غير مباشرة، فهي تعزز الاختلاف بين مقصدية الشاعر وما يقوله النص، وتسبب التباسا لدى القارئ الذي يفهم النص من مجموع التأويلات، وهذا ما يتجلى في الشعر المستحدث وشعر بلومون على وجه الخصوص حيث يلاحظ القارئ لجميع النصوص أنها مشبعة برموز متراوحة بين الطبيعي، الاجتماعي، السياسي، الثقافي وهو ما يوصل القارئ إلى تأويلات متعددة لنص واحد.

1.1.2 نص نعيط فيا:

يعيش بلومون في دوامة من الشك الدائم والمرتبط بالحياة الميتافيزيقية، إذ يلاحظ القارئ لنصوص -ديوان بعض الشك قصيدة- تلك اللمسة الفلسفية بداية من النص الافتتاحي " نعيط فيا" والذي يبحث فيه الشاعر عن ذاته المتراوحة بين الشك واليقين، فالعنوان في حد ذاته يبين ذلك الصراع الدائم بين الانسان ونفسه، والذي يتجلى من خلال توظيفه لكلمتين عاميتين؛ نعيط فيا أو أصرح داخلي.

فالعنوان يحمل للقارئ صورة مهمة تجعله يغوص في مجال فلسفي بعيد، يوصله إلى أنّ السعادة تخلق في الانسان بصمته وليس بحديثه الخارجي، فالشاعر قد أكد سعادته الأبدية من خلاله العنوان، فجسد الفرد وروحه كالبیت، سعادته تكون بصمته فكلما تكلم الإنسان زاد شقاؤه في الحياة بينما تقوم السعادة الدنيوية على الصمت، وهي تشكل بذلك التكامل الحاصل بين كل من الإنسان ونفسه والإنسان والآخر وكذا الإنسان وربه، وهنا قد تتكون السعادة بمفهومها العام، غير أنّ الشاعر في حالة من الصراع الداخلي نتيجة ذلك الكبت الذي قد يؤدي إلى تمزق الروح وانفجارها.

كما ينطلق الشاعر في نص " نعيط فيا" من فكرة جوهرية أساسها فكرة الشك في الوجود الذي أوجده "رينيه ديكرت"، إذ استخدم الشك المنهجي بهدف اكتشاف ما إذا كانت هناك حقيقة ما لا تقبل أي شك . فوجد تلك الحقيقة في الصيغة الجازمة «أنا أفكر إذن أنا

موجود " cogito. Ergo sum أي أنا أفكر لذلك فأنا أكون وما دمت أشك فإنني يجب أن أكون موجوداً، وإلا ما أمكنني أن أشك ففي فعل الشك ذاته يتجلى وجودي. »⁽³⁾ وقد ارتكز بلمومن إلى هذا المبدأ في نصه الذي جعل فيه من الشك منطلقاً لبعث فكرته حيث يقول:

لَوْ	يرجف الريح
ساح شكي	يلايمني قلبي
ما نضمنش لرض	نلعن الشيطان
تتعجب شما	نسكّر الزجاجة
يدهش الموت فيا // يخاف مّي	/ على روي
تضحك الشمس	ونعيط فيا ⁽⁴⁾

إنّ الأسلوب الذي يقدم فيه بلمومن رؤيته (العالم والحقيقة / الوجود والعدم) مختلف عن التصوير الذي يقدمه الشاعر الكلاسيكي، ذلك أنّ البعد الذي انطلق منه الشاعر يمس الجوانب النفسية والسلوكية للإنسان، إضافة إلى اللغة التي تمتزج بين العامي والفصيح فلو أداة شرط قائمة بذاته تحتل أي تأويل وأي قراءة، فبمجرد التفكير فإن هذا الأمر يثبت وجود الإنسان حتى وإن كان مخطئاً من منطلق أن الأنا هي كل الوجود ولا علاقة للغير به خصوصاً الجسد، الذي يعدّه ديكارت جزء من الطبيعة، ولقد شك ديكارت في كل شيء موجود حيث يرى أن هذا الشك لا يمكن أن يمتد إلى الوجود نفسه لأنه في فعل الشك ذاته يتجلى وجوده، وقد صور "رشيد بلمومن" هذه الذات المقتدرة والحرّة التي عولت على نفسها، من خلال شكّه الذي سمح له بأن يحكم على الأشياء المادية.

2.1.2 نص حيرة...: لا يختلف تصوير نص نعيط فيا عن تصوير نص حيرة الذي سعى فيه رشيد بلمومن إلى طرح الأسئلة الوجودية، والتي يبحث فيها عن إجابات من الحياة والأشخاص وهذا ما جعله يعنون نصه الثاني بـ "حيرة" فهي محاولة من الإنسان لفهم أو اتخاذ قرار شخصي وهي حالة هنية ونفسية يعيشها الإنسان عندما يكون أمام خيارات متعددة أو عندما لا يجد إجابة واضحة لسؤال داخلي، حيث يقول:

الحيرة أنك // تطرح سؤال

جاوب عليه

تسمع روحك

وتضحك⁽⁵⁾

يبين المقطع الأول من النص ذلك التوجه الفلسفي الذي يثير القراءة الداخلية للإنسان، وذلك بجعله للكلمة لازمة متكررة في تسع مقاطع، تاركا بياضات بين كل مقطع والآخر، وفي كل مقطع يطرح سؤالاً على نفسه يمكن أن يكون قد مر على أي إنسان، وهذا السؤال فيه من الحيرة التي يعيشها الإنسان عندما يبحث عن إجابة مقنعة ويمكن تقسيم مقاطع النص إلى مجموعة من الاتجاهات:

المقطع	النص	نوع الحيرة	معناها
الأول	الحيرة أنك تطرح سؤال جاوب عليه تسمع روحك وتضحك	وجودية	البحث في الأسئلة الوجودية والتي تظل حبيسة الفرد فلا يمكنه تقديم تأويل لها، على أساس الحضور والغياب، حضور القارئ وغياب الشاعر، وذلك من منطلق التفكير الوجودي للشاعر والذي يجعل من النص ملكاً للقارئ.
الثاني	الحيرة أنك تلوح خطوة ل غدوة وأنت نسيت تنوض م البارج	اليومية	الشاعر في حالة من الارتباك الدائم لاتخاذ القرار الصحيح والذي يرتبط بالحياة اليومية، وذلك باعتقاده أن الإنسان يتوجب عليه التريث في اتخاذ القرارات، انهاء الأعمال بشكل تراخي وليس التسبيق في ذلك.

جدول رقم 01 : جدول يوضح تقسيمات اتجاهات النص.

إذا كان التوجه الفلسفي للشاعر من العوامل التي خلقت انحرافاً للمعنى عند القراءة، فإن هذا يولد معانٍ متعددة لا يمكن إحصاؤها ذلك أن القارئ في هذه الحالة يصبح هو

فالفعل القرائي يتشكل بهذا التوافق الذي يسعى فيه الشاعر إلى كتابة نص يستحضر شخصية وقدرات القارئ القرائية، فيكون القارئ قادرا على إدراك المعنى الذي يتضمنه النص، وهذا ما يتجلى في الديوان انطلاقا من عنوانه إلى نصوصه. فالقارئ يخضع لهذه العوامل التي تتدخل في عملية القراءة، فيصبح النص قابلا للقراءة والتأويل الدائمين.

تعد الحادثة ظاهرة سريعة التأثير في الشعر الشعبي الجزائري، وسريعة المفعول على الشعراء بإحداثها تحولات عميقة في بنائه ومضامينه ، فقد رحب بها بعض الشعراء ورفضها البعض الآخر بحجج متفاوتة، وإن دلّ ذلك إنّما يدل على إيمان المحدثين بضرورة التغيير في خضم التغيرات والظروف التي يعرفها العالم المعاصر، ومن ذلك السعي إلى هدم المركزية الشعرية التي لازمت الشعراء لقرون من الزمن، وبفعل هذه الآراء المتناقضة تأكد وجود النموذج الحدائي الذي استنفر الأقلام النقدية التي اختلفت حول تحديد هوية النص الجديد الذي ارتبط بالحادثة والمعاصرة والكتابة الجديدة.

- 176 -

الشعرية، لينتقل هذا الفكر الحدائي إلى الشعر الشعبي في دول المغرب العربي متأثرين بأفكار أدونيس الذي خرج عن قالب الشعر المحض إلى قالب الكتابة والتحرير.

إن الألفاظ التي استعان بها رؤيد بلومون في تجربته الزجلية كما يحلو له تسميتها وصفت بالعبثية لعدم توفر الشروط الشعرية، ومن ذلك المبنى الأساس للشعر العربي فقد بدأ بلومون بالتخلي عن نظام القصائد بالتدرج إلى أن وصل إلى نظام خالٍ من مصادر الشعرية، غير أنه لم يتخل عن الموضوعات السالفة والمرتبطة بالمجتمع الذي يعيش فيه، حيث أن الحمولة الدلالية التي يستمدّها الشعر من التراث سواء كان دينياً، أو أدبياً أو لغوياً أو اجتماعياً وهذا ما يلاحظه القارئ في نصوص الديوان على اختلافها.

إنّ المقصدية من نص " أرشُم .. أرشُم " مثلاً؛ ترتبط باللحظات الوجودية للإنسان، فالمعنى لا يتشكل إلا من خلال المعطيات السابقة وما إلى ذلك من تجارب في الحياة اليومية، فبلومون من خلال نصه المقسم إلى مقاطع قصيرة يلفها البياض من كل الاتجاهات حاول إيصال مجموعة من الرسائل الفكرية من خلال الفهم الذاتي والشعور القصدي للمتلقي، فكلمة أرشُم أخذت من الجذر (رش-م) أي وضع علامة أو أثراً وهذا ما يفهم بشكل رمزي على التوثيق الذي ربطه بمختلف مراحل حياته، حيث يقول في المقطع الأول:

كانت صلاة

فرض كفاية

وكانت غير جدة

تصلي⁽⁷⁾

إن الظاهرة التي أثارها بلومون في هذا المقطع قائمة على ما اصطلح عليه المجتمع وما تعارف حوله، فالنص الحدائي لا يتنافى مع النصوص القديمة ولا يرفضها ولكنه يحاول تجديد القضايا فيها بأساليب مختلفة؛ من منطلق أنّ الحداثة « تضیی الماضي وتظهره في

صورة جديدة، وهي في الوقت نفسه تستمد من الماضي قوتها وحضورها ذلك أنها لا تحدث فجأة فهي حدث له أصوله وتراكماته ولا تهبط من خارج، وإنما تحدث ضمن ما نرثه، وفي اللغة التي نكتبها»⁽⁸⁾ إذ أن الصلاة ومختلف الممارسات الدينية كانت ولا زالت فرضا على الكبير والصغير غير الطريقة التعليمية لذلك تختلف من جيل لآخر لاسيما أن المجتمعات السالفة كانت تعاني من آثار الاستعمار كالفقر، الجوع، الأمية، ..، إلا أنه لم يتخل عن مرجعيته الدينية، وهذا بالحفاظ على أركان الاسلام، الصلاة، الصيام، الايمان بالله والخوف منه، حيث يقول في مقطع آخر:

كنا نصوم

نص اليوم

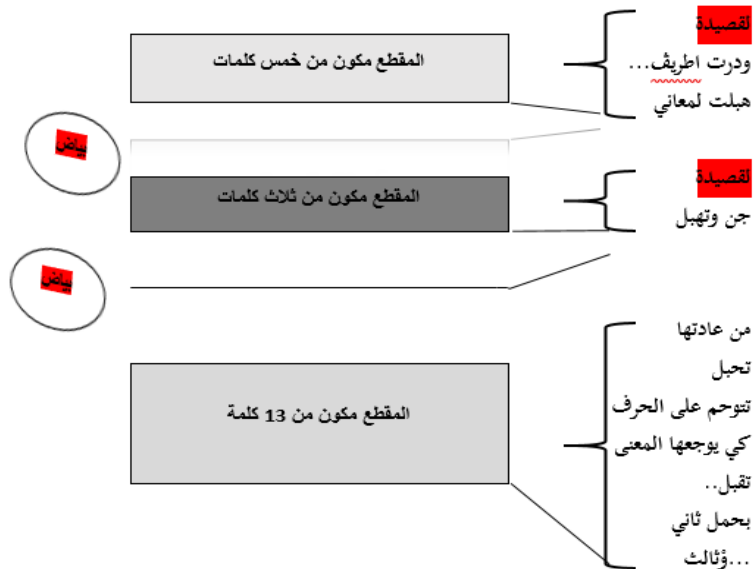
ونجمعها بنصاص

ليام الجاية⁽⁹⁾

يدرك القارئ من خلال المقطعين مجموعة من الظواهر الذاتية والجمعية التي ترتبط بدراسة الشعور الخالص للنفس البشرية، فالمجتمع السابق أو الأجيال السابقة كانت متمسكة بالأبعاد الدينية إلى أقصى تقدير من ذلك أن العائلة تربي أولادها على الصلاة والصيام بالتدريج، فكان الطفل يصوم بالساعات إلى أن يتم صيام اليوم فالأسبوع فالشهر، فمقصدية الشاعر هي إعادة إحياء التراث وفق قالب حدائي، يتوافق مع الواقع، ومع الأفكار المتحررة ليصبح الشعر كتابة تفلت من الاكراهات الآلية والأفكار النقدية، ما يدفع الكاتب إلى الخروج عن أناه المألوفة وهذا ما جعل التجربة الشعرية تقع في دائرة الغامض المهم. وهو ما جعل الأفكار المضادة للمشروع الحدائي تتعالى عليها وهذا ما جعل الشعر الحديث يميل إلى القلق والاضطراب.

3- مظاهر التلقي بين التأويل والتشكيل:

إن التطور الذي عرفه الشعر الشعبي على مستوى الشكل رافقه تطور سريع متعلق بنظرية القراءة والتأويل للنصوص الشعرية، ذلك أن القراءة نشاط دائم لا حدود زمنية لها، فقد أولاهما أمبرتو إيكو Umberto Eco أهمية كبيرة حيث يقول: «أدركت، متأخراً أنني طالما اشتغلت في التداولية، بلا معرفة أنه فيما يدعونه علم تداول النص أو جمالية التلقي»⁽¹⁰⁾ والمتأمل في ديوان بعض الشك .. قصيدة لرشيد بلومون يدرك ذلك التطور الظاهر على مستوى الشكل بتخليه عن النظام التقليدي ومستوى المضمون الذي يجد القارئ صعوبة في فهم رسائله المضمرّة، والتي تتطلب قارئاً ذو معرفة وإرادة في القراءة والتحليل. تحتوي نصوص الديوان على إشارات لغوية مثلت صدمة كبيرة لكثير من الشعراء والنقاد على حد سواء من الذين تمسكوا بآليات البناء القديمة، ذلك أن النص الحداثي يحتاج كذلك لآليات حداثيّة لفهمه وتحليله، فالشكل الجديد للنصوص الشعرية خلق صدمة للمتلقي كنص وحم القصيدة الذي يترجم ذلك:



إن تأثير الحداثة واضح على التجربة الزجلية لرشيد بلمومن فقد انتبه إلى قيمة الفضاء البصري المتمثل في؛ العتبات النصية (الغلاف، العنوان،..) السواد والبياض، السطر الشعري، التفاوت الموجي... فاستعانة الشاعر بهذه الآليات الحداثية الخاصة بالشعر العربي المعاصر ساهمت في نقل الشعر الشعبي من الهامش إلى المركز ومن الشفاهية إلى التدوين، حيث يصبح الخطاب في هذه التجربة رسالة بين المرسل والمستقبل تهدف إلى توصيل معنى من خلال كلمات وجمل مثقلة بالإيحاءات والاشارات التي تنتقل من قارئ لآخر. وهذا ما يتجلى في النص السابق "وحم القصيدة".

ووحم القصيدة هو نص متكون من مجموعة من المقاطع، ولكل مقطع رسالة معينة ودلالة معينة فالمتلقي يلاحظ تلك اللازمة المتكررة في المقاطع الأخرى (لقصيدة) فما الدلالة التي تحملها؟ فالمعروف في القصيدة أنها شكل من أشكال التعبير عن الذات والوجود يستغلها الشاعر للوصول إلى الاحساس الداخلي، وربط الشاعر للقصيدة بالوحم فيها رسالة مجازية عن ميلاد نص شعري مخالف للنص المؤلف. فقد شبه القصيدة بالمرأة الحامل التي تتوحم على مختلف الأكالات، والشعر في مرحلة حاسمة للتخلق من المركزية الشعرية والانفتاح على نصوص جديدة. في قوله: (كي يوجعها المعنى/ تقبل.. بحمل ثاني/ ... وثالث.

إن المبدأ الذي يحكم الديوان هو الغرابة والدهشة التي يلاقها المتلقي في قراءته لنصوصه وما العنوان إلا جامع لهذه النصوص، فالشاعر من خلال تجربته الزجلية يواجه النص التقليدي؛ بنص مخالف من جميع جوانبه الشكلية والمضمونية، ومن هنا يظهر تأثير رشيد بلمومن بالتشكيل البصري المرتبط بالآليات الحداثية التي تخلق النص، والتي تتمثل فيما يلي:

3.1- العنوان: " بعض الشك قصيدة": لا يدرك قيمة القصيدة إلا كل شاعر أجاد

في التعبير عن دواخله، فرشيد بلمومن انطلق في ديوانه من نصوص لا يعترف بها النحويون أو البلاغيون القدامى وذلك للغرابة التي نجدها فيها، غير أن هذه النصوص التي امتزجت

بالحدثاء في الطرح جعلها تصل إلى سلطة نصية توجب على القارئ والناقد على حد سواء؛ إعادة النظر في معنى القصيدة، فالقصيدة في نظر بلمومن انفتاح على العالم بكل تصوراتها الذهنية والفكرية، وهي مجال أوسع للتعبير عن فكره ورؤاه الفكرية والفلسفية، وذلك من خلال التكتيف الذي ظهر من خلال الكلمات والجمل وكذا الفراغات التي تسمع بالانفتاح على التأويل، فالعنوان إشارة إلى أن الشاعر قد جعل من شكه الدائم نصوصاً تعبيرية ذات أبعاد فلسفية.

2.3- البياض والسواد: يتشكل المعنى من خلال ثنائية ضدية هي البياض والسواد، ويتحكم الشاعر في ذلك من خلال التفاوت الموجي، فمن بين الخصائص التي هيمنت على التجربة الشعرية؛ انصهار النصوص وتقلصها في الورقة الواحدة، فالشاعر الحدائي أصبح يستغل جزءاً صغيراً من الورقة للتعبير عن أحاسيسه المتقطعة، وهذا ما يظهر في الديوان ونصوصه عكس ديوان سيلفي الذي مزج فيه بين النصوص الطويلة والقصيرة، والنصوص السداسية والرباعية، فنصوص ديوان بعض الشك قصيدة تجاوز للنظام التقليدي، وتجاوز للنص الحدائي وتجاوز للتجارب الأولى، حيث أصبح الشاعر يستغل الكلمات والبياضات للتعبير عن القضايا بشكل مكثف، وهذا ما يظهر في نص "وصية الشوك" الذي يتكون من مقاطع صغيرة متكونة من كلمتين أو ثلاث كلمات، حيث يقول:

الشوك

ورث من زريعتو

لعداوة

الشوك

فاقد الثقة¹¹

لقد اتخذ بلمومن من البياض فضاءً واسعاً مقارنة بالسواد الذي أخذ حيزاً ضيقاً غير أن المعاني أوسع من البياض في حد ذاته، فقولته: (الشوك) يأخذ بالقارئ إلى العديد من الدلالات فكلمة الشوك: هو ما يخرج من الشجر أو النبات وهو دقيق وصلب وحد الرأس كالإبر، وهو إحدى الوسائل التي تتخذها النباتات للدفاع عن نفسها ضد الحيوانات، وللشوك العديد من المعاني المجازية التي قد يفهمها القارئ من مضمون الحديث كالحدة في البأس فيقال: كالشوك في حلق العدو، وقد يعبر عن المرض فيقال: مرض كالشوك وغير ذلك من الاستعمالات. والنص يربط بين الشوك والعداوة التي تحصل بين البشر، وهذا ما يظهر أن الشوك يمكن أن يدل على الظواهر الاجتماعية السامة التي تخترق المجتمعات، وقد أحاط هذا المقطع البياض الذي يخلق صراعاً داخلياً بين الإنسان والغير، إذ تلى المقطع بياض واسع يليه تكرار لكلمة الشوك.

3.3- **التفاوت الموزني:** من أبرز خصائص التجربة الشعرية لدى بلمومن التفاوت في توزيع الكلمات والجمل عبر الفضاء الورقي، حيث يلاحظ القارئ تلك البنية المحدثة في الاهتمام بالدفقات الشعورية، وهو ما يطلق عليه بالتفاوت الموزني وهو " تفاوت أطوال الأسطر الشعرية تبعاً لتفاوت الموجة الشعورية المتدفقة عبر كل سطر"¹² فالأسطر الشعرية المتفاوتة موزنية هي نتيجة التدفقات الشعورية للشاعر ولكل دفقة معان متعددة ما يضيف دلالات جيدة وهذا ما يظهر في المثالين التاليين:

مليان بيك	جربت نسمعي
مليان بيكُ	نطلف —
الباقي منك // نبخرو — //	صوتي —
فايض —	ونروح —
نجمعك رغاوي — —	نجري .. نجري — .. —
نفقس الرغوة // في وجهي — — //	لهيه —

ونتوضى بيك ¹³ — —	نسمعي ... لهيه ¹⁴ — ... —
------------------------------	--------------------------------------

جدول رقم 02: يوضح التفاوت الموجي للنصوص

نلاحظ في النصين تفاوتاً موجياً بينهما حيث يستغل الشاعر الكلمة والكلمتين والثلاث كلمات، بشكل متفاوت، ما يبين أنّ لكل كلمة أو مفردة شحنة دلالية معينة بحيث أن المعنى يفيض على الكلمة ويتجاوزها فنص مليان بيك ذو دلالات عديدة منها: الامتلاء بالحب والمشاعر تجاه الآخر أو الامتلاء بالمعاني المفتوحة، بينما يحمل نص جربت نسمعي دلالة على الانصات للذات والدواخل الفردية. فقد استطاع الشاعر أن يبتكر هيئة طباعية خاصة به تكون فيه الكلمة ذات معنى واسع ومكثف.

4. خاتمة:

في ختام هذا الموضوع وفي إطار البحث عن المعنى ومعنى المعنى لديوان بعض الشك قصيدة لرشيد بلومون، أو الشعر الشعبي الجزائري الذي مسته صور الحداثة، فإننا ندرك أنّ الشاعر الشعبي استطاع أن يرافق مختلف التحولات الاجتماعية والثقافية التي يشهدها المجتمع المعاصر، وأنّ البحث في مثل هذا الموضوع لا يقتصر على تتبع الدلالات المباشرة، بل هو غوص في طبقات عميقة من الإيحاء والتأويل، فالشاعر لم يعد يكتفي بإيصال معنى جاهز، بل أصبح قادراً على فتح النص على احتمالات متعددة تجعل القارئ شريكاً في إنتاج المعنى.

أبدع الشعراء في قراءة القضايا العالقة لإثراء الثقافة المحلية محافظين بذلك على تاريخ المجتمعات، فقد لعب هذا الفن الشعري دور الموجه للناس بقضاياهم الوطنية والاجتماعية والدينية، خصوصاً حينما كان الشعب متعرضاً لمشكلة الأمية ونقص الوعي اللذان خلفهما الاستعمار الفرنسي فحاول الشعراء توجيه الناس إلى هذه القضايا، وقد عمد الشاعر الحدائي إلى تثوير القضايا السابقة في حلة شعرية مخالفة للقالب التقليدي ومتجاوزة للمعاني المتعارف عليها، فالشعر الشعبي أصبح نصّاً مفتوحاً على مجموع القراءات الثقافية.

5. الإحالات والهوامش:

- ¹ - عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، د.ط، القاهرة، 1999، ص132.
- ² - عاطف جودة نصر، النص الشعري ومشكلات التفسير، مكتبة لبنان ناشرون- الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، القاهرة، 1996، ص57.
- ³ - فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة الحديثة من ديكرت إلى ليبنتز، ترجمة وتعليق: سعيد توفيق ومحمود سيد أحمد، مراجعة وتقديم: غمام عبد الفتاح إمام، المجلد الرابع، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013، ص133.
- ⁴ - رشيد بلمومن، بعض الشك قصيدة، دار الجزائر تقرأ، د.ط، الجزائر، 2017، ص09.
- ⁵ - الديوان، ص10.
- ⁶ - ينظر: كمال خير بك، حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1996، ص52.
- ⁷ - الديوان، ص19.
- ⁸ - ينظر: أدونيس، كلام البدايات دار الآداب، ط1، بيروت، 1989، ص28 ص30.
- ⁹ - الديوان، ص19.
- ¹⁰ - أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1996، ص07.
- ¹¹ - الديوان، ص59.
- ¹² - محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، المركز الثقافي، ط1، بيروت، 2008، ص172.
- ¹³ - الديوان، ص28.
- ¹⁴ - الديوان، ص70.

5. قائمة مصادر البحث ومراجعته:

- أدونيس، كلام البدايات دار الآداب، ط1، بيروت، 1989..
- أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1996.
- رشيد بلمومن، بعض الشك قصيدة، دار الجزائر تقرأ، د.ط، الجزائر، 2017.

المعنى والمعنى المعنى في ديوان " بعض الشك .. تصيدة " لرؤيد بلومون

الجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026

- عاطف جودة نصر، النص الشعري ومشكلات التفسير، مكتبة لبنان ناشرون- الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، القاهرة، 1996.
- عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، د.ط، القاهرة، 1999.
- فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى ليبنتز، ترجمة وتعليق: سعيد توفيق ومحمود سيد أحمد، مراجعة وتقديم: غمام عبد الفتاح إمام، المجلد الرابع، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013.
- كمال خير بك، حركية الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ط1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1996.
- محمد الصفرائي، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، المركز الثقافي، ط1، بيروت، 2008.